مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثالث عشر-العدد الثاني، ص:1-33، يونيو2005

شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي
دراسة موضوعية فنية

سعد محمد العزايزة
وزارة التربية والتعليم العالي
غـــزة، فلسطين

Ibin Zamrak Epigraphic Poetry A thematic and artistic study

ملخـص: يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أهم المضامين الاجتماعية والثقافية والفكرية في شعر الـنقوش عـند ابن زمرك الأندلسي. كما يتناول أبرز الجوانب الفنية في ذلك الشعر من حيث : اللغة والصورة والزخرف البديعي ودلالاتها المختلفة .

وقـد حـاول الباحث في هذه الدراسة أن يربط بين مجازات الشعر وكيف انتقلت من خلال فن النقش البارز إلى صور فنية تناسب ذوق العصر الغرناطي وحضارته.

Abstract: This research studies and analyzes the most important Social, cultural and intellectual contents in Ibin zamrak's epigraphic poetry. In addition, the most prominent artistic tools have been dealt with namely: language, image, embishments And their different coonotations. the researcher, in this study attemps to connect between tropes and how they are transforme, through epigraphy ,to ann artistic image that suits the taste and civilization of the Ghernati age .

مقدمة :

هـذا البحث سياحة في رحاب النقوش باعتبارها فناً وعلاقتها بالفن الشعري ، والكشف عن جوانب من مظاهر التقاء الفنين في رؤية الشاعر الأندلسي ابن زمرك.

وإذا كانت الدراسة الأدبية هنا تنصرف إلى التحليل الموضوعي والفني لشعر ابن زمرك النقشـي ، فإنها تظل سبيلاً لإجراء علاقة ما تربط بين مجازات الشعر، وبعض ملامحه الجمالية وكـيف انتقلت من خلال الفن البارز (النقش) إلى صور فنية تعبر بصدق عن جنوح ذوقي تجاه الجمال الذي ارتبط بالعصر الغرناطي وحضارته.

لقد قدم ابن زمرك لوحات من النقش الشعري تبرز هذا الفن بأدوات صلبة محفورة في الحجر أو الخشب ، وتمثل ذلك في جنبات القصور وواجهاتها وقبابها وغير ذلك .

إن ما حاكته يد الشاعر بالفن البارز يعد نماذج من العصر الذي عاش ، يسجل أحداثه ، ويعكس -أحياناً- بعض مناحيه الاجتماعية والفكرية ، وقد حرص الشاعر في أثناء ذلك على أن

لا يغفل عن الجانب الشكلي إرضاء للمستوى الجماهيري منطلقاً في إبداعه من اعتبارات كثيرة ، تكشف عن مسايرته لذوق العصر.

ومـن هـنا لـم نلمس في جانب من الشعر النقشي عند ابن زمرك تلك القوة اللغوية أو المعاني العميقة التي تعبر عن أحاسيس حقيقية ، بل غلبت على بعض نماذجه لغة بسيطة ورقيقة، ولا تخلـو أحـياناً من المباشرة ، وقد عرضت صياغتها اللغوية في قوالب تتناسب مع ذوق ذلك العصر.

لذا فإن دراسة بهذا الشكل تثير عدداً من التساؤلات :

هـل المقصـود دراسـة النص الشعري ذاته ؟ أم دراسة ظاهرة النقش الفني بجمالياته التشكيلية ؟ وتلك مسألة أخرى تحتاج إلى عالم فني مختلف بلا شك...

ويـرى الباحـث أن يكون التركيز على النص الأدبي ومضامينه الاجتماعية والثقافية والفكـرية ، واضعاً في الاعتبار تلك القوالب النقشية ، التي ترمز بشكل وبآخر إلى فلسفة الجمال الشكلي التي كان لها حضور واضح في العصر الغرناطي بإطارها وهيئتها.

وتـتكون الدراسة من مبحثين ، ينصرف الأول إلى دراسة المضمون في أشعار النقوش عـند ابـن زمرك ، من خلال معاني المدح والفخر والوصف ودلالاتها الحضارية والاجتماعية للعصر والبيئة التي عايشها الشاعر.

أمـا المبحث الثاني فيتعلق بدراسة معجم الشاعر ومؤثراته ، والصيغ البديعية التي لجأ إليها في نقوشه ، ثم تلك الصور التي نزع إليها ، وعلاقتها بالأجسام المزينة والمزخرفة في شعر النقوش الذي حاول فيه ابن زمرك الجمع بين السمات الأسلوبية للشعر وجمال الخط والكتابة .

تمهيد :

ازدهـرت آلـة العمران في غرناطة الأندلسية ازدهاراً واضحاً ، وقد ارتبط ذلك الأمر بقوة الدولة الاقتصادية ، ومدى قدرتها على استغلال الثروات الطبيعية وتطوير المعالم العمرانية، التـي برزت من خلال إنشاء القصور والفنادق والمدارس والحمامات، وزراعة البساتين ، وإقامة الصناعات إلى غير ذلك .

وتلك النهضة لم تكن وليدة العصر الغرناطي فحسب ، بل كانت امتداداً لأعصر خلت ، سـطر فيها الإنسان الأندلسي بأحرف من نور لمسات حضارية ، تشهد له تلك الآثار الباقية حتى العصـر الحاضر ، نابضة بالحياة ، مبهرة للعيون ، ولم تمح كثيراً منها عوادى الزمن أو تقلبات العصور.

وتعد قصور الحمراء من أبرز آثار الفن المعماري في غرناطة ، فهي من آيات الجمال الإنسـاني ، وصـفها المستشرق (فون شاك) وكأنها باتت مرسومة على خرائط محددة المسافات والأبعـاد ، وقـد علقـت فوق صخرة وعرة المنحدر وسط مناظر طبيعية بالغة الروعة ، وتقف الشـرفات مـنها علـى انحـدار صـعب عميق ، وتتوسطها جداول موشوشة تنحدر من الجبال ويتصاعد منها أريج الغابات ذات الروائح الغبقة ([1]).

ومـا زاد تلك القصور روعة وبهاء تلك الأشعار التي حفرت على جنباتها ، فامتزجت مجـازات الشـعر بـأدوات البناء وخاماته في جمل فنية ، تعبر بوضوح عن جنوح ذوقي تجاه الجمال الذي ارتبط بالعصر الغرناطي وحضارته.

لقـد وجـد الشـعراء الغرناطـيون في هذه القصور ما يثير قرائحهم ، ويفجر كوامن مشاعرهم، فجاء وصفهم للقصور وما تتشح به دقيقاً([1]).

ويـبدو أن النقوش الشعرية التي خطت على جدران القصور الغرناطية كانت لأكثر من شـاعر ، مـنهم على سبيل المثال (ابن الجياب ت749هـ) ، التي زينت عدداً من قصائده قصر جنة العريف([2]) ، وكذلك الشاعر الكبير (لسان الدين بن الخطيب ت776هـ) الذي حفر جانب من شعره على حوائط وكوات مباني الحمراء([3]) ، ثم شاعرنا محل الدراسة (ابن زمرك ت797هـ) صاحب بعض القصائد الكبيرة المنقوشة على جدران أشهر القصور في غرناطة([2]).

ويذكـر بعـض الباحثيـن أن نقـوش الوزير الشاعر ابن الخطيب قد تم محوها بعد أن وقع في المأسـاة([4]) ، واسـتبدلت بقصـائد تلمـيذه ابن زمرك ، دون أن يوضع في الاعتبار هذا النسيج المتجانس بين السابق واللاحق ، بسبب الظروف السياسية التي عبثت بتصرفات بعض الحكام([5]).

ويقـف الدكـتور صـلاح جرارمن القول السابق موقفاً مختلفاً، إذ يؤكد أن جانباً من أشعار ابن الخطيب وابن زمرك وغيرهم ممن وقع عليهم اختيار سلاطين بني الأحمر ونقشته الأيدي المبدعة مـا زال ماثلاً نقشاً في أجنحة الحمراء وصالتها ليبقى شاهداً من شواهد الحضارة العربية وأثراً من آثار أشهر شعراء عالم الحمراء المكتوب([8])، ولعل ما يؤكد كلام الدكتور جرار ما قام به من تصـوير فوتوغرافي لمقطوعات وقصائد لابن الخطيب وابن زمرك وغيرهم من شعراء الحمراء اشتملت على اثنتين وثلاثين مقطوعة منها اثنتا عشرة مقطوعة فقط للشاعر ابن زمرك([9]).

وتـنطلق هـذه الدراسـة نحو شعر النقوش عند ابن زمرك([10])، الذي ارتبط اسمه بالبيت الحـاكم وسلاطينه ، الأمر الذي جعله يمتلك الحظوة لديهم ويقدم على سواه من الشعراء ، خاصة

في عهد (الغنى با محمد الخامس ت 793هـ) الذي "تجاوزت علاقة ابن زمرك بسلطانه الخدمة والوفـاء إلى نوع من الخلة والزلفى" ([11]) ، فقد لازمه ابن زمرك في السراء والضراء ، وبذلك يفتخر مردداً في إحدى رقاعه :

"خدمته (أي الغني با) سبعاً وثلاثين سنة : ثلاثاً بالمغرب وباقيها بالأندلس، وأنشـدته فـيها ستاً وستين قصيدة في ستة وستين عيداً ، وكل ما في منازله السعيدة من القصور والرياض والدشار([12]) والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق في القباب والطاقات([13]) والطرز([14])، وغير ذلك فهو لي" ([15]) .

والحقيقة أن أشعار ابن زمرك في أكثر من موضوع ، وخاصة فيما خط منها نقشاً على القصور وملحقاتهـا ، بلغـت من الزينة البديعية والتعقيدات المتكلفة في الصياغة اللغوية ما جعلها تتعدى لوحة المعنى لتمتد إلى طراز جديد من الشكل الغالب.

وتلك الأشعار تناغمت إلى حد ما مع فلسفة الفن الشكلي التي شقت طريقها استجابة إلى مضامين الجمـال ؛ حيث يلبى فيها الشعراء ميلاً نحو نزعة زخرفية ، نتيجة لتفاعلهم مع الحياة الجديدة ، وقد برزت هذه النزعة الزخرفية متجسدة في الخط والتصوير والفسيفساء وصناعة الزجاج الملون وهندسة البناء ، ثم سرت إلى صناعتي الإنشاء والنظم([16]).

يمكـن القول إذاً : إن إنشاء القصور وتزيينها وزخرفتها يعد جزءاً من تلك النزعة الجمالية التي غلبت على نهاية العصر الأندلسي في غرناطة ، ويذكر الدكتور محمد الجمل في ذلك أن قصور الحمـراء التـي وصـفها بالأسطورية" أصبحت متحفاً لا نظير له للعمارة والفنون الأسلامية في الأندلـس"([17]) ، ويشـير إلى أن تلك القصور أصبحت مصدر إلهام لأدباء وشعراء أجانب، منهم الفرنسـي فرانسـوا شاتوبريان(1768_1848)، والأمريكي واشنطن أرفنج ، والأسبانيان ماريا لوركا(1889_1936)، وأنطونيو جالا ([18]).

وإذا كـان فـن العمـارة هو الفن الذي سيطر على الذوق الجمالي في العصور الكلاسيكية القديمة ، وخاصة العصر الهليني الغربي أو الفرعوني الشرقي([19])، فإن بيئة غرناطة الأندلسية قد جمعـت بيـن الجمال المعماري والفن الشعري ، وتعانقا جميعاً ليشكلا رمزاً يظل يشهد للعرب المسلمين بأنهم ضربوا في العمق الحضاري بسهم ما زالت الآثار تشهد به.

لقد كانت في عصور خلت تنقش على المساجد أو القصور أو حتى القبور آيات من القرآن الكريم أو الأحاديـث الشريفة وغيرها من الحكم المأثورة أو الأشعار الدينية([20]) وقد أخذت تلك النقوش أشـكالاً مرسـومة وملونة أو مرقشة ذات توريقات مكررة ، وتحمل في مضمونها معاني ترمز للتبـتل والعـبادة الإسلامية ([21]) وإذ بنا في العصر الغرناطي أمام عهد لا يخلو من جدة ، يقوده

الشـاعر ابـن زمـرك ومـن عاصره من كبار الشعراء الأندلسيين ، حين نقشت أشعارهم على القصور ، والآثار والطاقات والمحلات العامة تيمناً واستبشاراً([22]) وتلك ظاهرة فيها من الدلالات الثقافية والاجتماعية والفنية ما يجعلها في حاجة إلى تأمل وتفكر، ما أحوجنا إلى استكناه ماهيتها ، ومعـرفة الدوافع التي جعلت من النقش الشعري يصل إلى ما وصل إليه في تلك الفترة من حياة العصر الغرناطي.



مشاهد للنقوش المختلفة في أروقة قصور غرناطة تم الحصول عليها من خلال شبكة الإنترنت بتاريخ ١٥-٥-٢٠٠٤م وعنوان الموقع / www.arsvirtul.com/alhambra.htm

المبحث الأول

شعر النقوش عند ابن زمرك – دراسة موضوعية

تـناول ابن زمرك في أشعاره التي شكلت ظاهرة نقشية فنية موضوعات عدة كان أبرزها المدح والوصـف والفخر ، إلى جانب أغراض أخرى كالشكر والتهنئة وغيرها، ذلك أن تلك الأغراض تنسجم في مضامينها والبيئة التي ألفها الحكام والسلاطين في قصورهم.

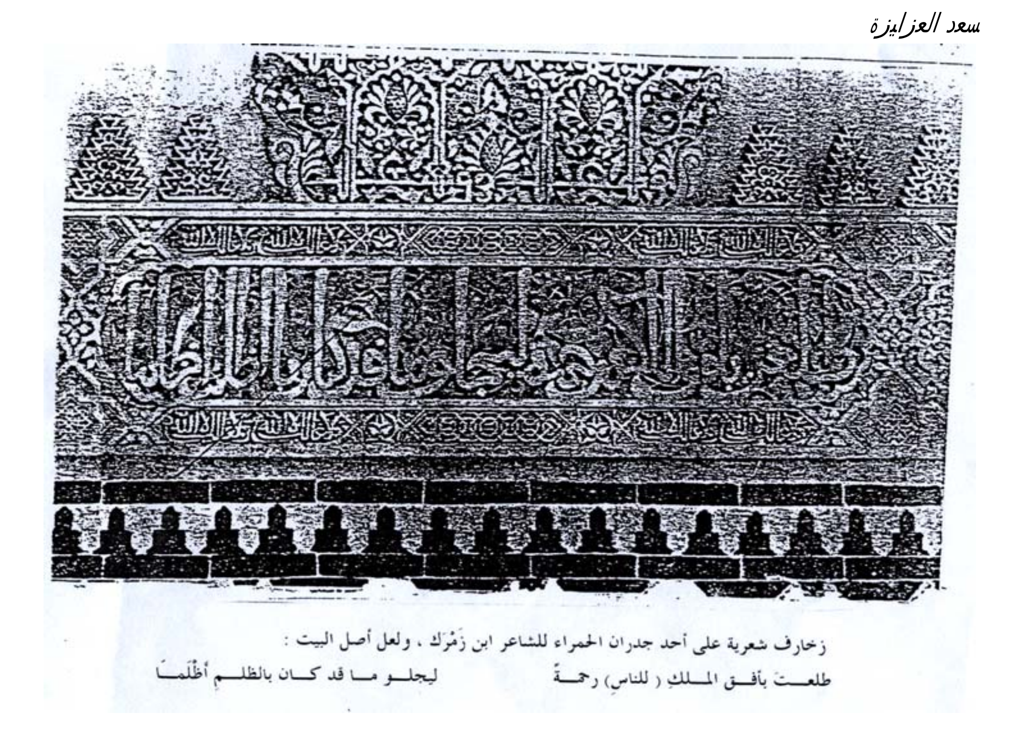
وسـتتركز الدراسة في موضوعي المدح والوصف كغرضين أساسيين ، أما باقي الأغراض فقد جـاءت عارضة ، بحيث لا تشكل وجوداً كبيراً ، أو جاءت في إطار غرضي المدح والوصف. وغالـباً مـا ينظر الشعراء إلى تلك الأغراض بوصفها كلاً واحداً ، تضافرت على بنائه جزئيات شـتى([23]) ، فالمدح يقترن –في الغالب- بالعطاء ونيل الرضا، ويأتي الفخر ليكون رديف المدح فـي تقدير الذات والتغني بالأمجاد ، وقد يرمز الشاعر في مدحه للسلطان ليصب في دائرة إبراز

ذاتـه بشكل أو بآخر ، ويظل الوصف عمدة الشعر لقول ابن رشيق " الشعر- إلا أقله- راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"([24]).

لقـد كـان ابـن زمرك شاعراً وسياسياً ، دخل معترك الوزارة بعد صراع مرير مع الأصدقاء والأعـداء ، وذلك الوضع الاجتماعي أدخله في جموح الشهرة ، إذ الباب مفتوح على مصاريعة كـي يمدح ويفتخر باحثاً عن مزيد من النفوذ لدى أصحاب القصور من الأمراء والسلاطين ، كما أن طموحاتـه السياسية دفعته في كثير من الأحيان إلى التملق والمصانعة، وجعلت من فن المديح فـناً رئيسـاً في شعره([25]) ، ويذكر إميليوغومث في هذا الشأن أن المدائح الملكية ، أو ما عرف بالقصائد السلطانية فازت بنصيب الأسد في شعر ابن زمرك([26]).



قصر الحمراء في مملكة غرناطة


زخارف شعرية على أحد جدران الحمراء للشاعر ابن زَمْرَك ، ولعل أصل البيت :

طلعتَ بأفقِ الملكِ (للناسِ) رحمةً   ليجلو ما قد كان بالظلمِ أظْلَمَا

وشـعر الـنقوش يعد أرضاً خصبة لمعاني المديح ؛ حيث تتلألأ عبارات الثناء في جمل مزخرفة على جدران القصور ، تتغنى بأمجاد هؤلاء الذين قاموا بتشييدها وإعمارها حقبة من الزمن.

ويعد ابن زمرك فارس هذا الميدان ، حيث إن قصائد بارزة كانت منقوشة له على جدران قصور الحمـراء وملحقاتهـا مثل ساحة (بهو) الأختين وفناء نافورة (نبع) الأسود، وطيقان أبواب مباني البيـت السـعيد وغيرها([27])، وقد سجل فيها كثيراً من حياة الخلفاء إلى أن أصبحت تلك الأشعار جـزءاً من زخارف قصور بني نصر نفسها([28]).ولا يمكن الزعم أن كل ما جاء في الديوان من أشـعار ما زال ماثلاً نقشاً على جدران القصور وغيرها من الأبواب والكوات، فعوامل التعرية، والأحوال المناخية، والظروف السياسية قد تؤثر مما يجعل بقاء النقوش بالكامل أمراً مستحيلاً.

كـان مـن الضـروري أن يركز الشاعر فيما يختار من أشعاره لتكون نقوشاً على معان تروق لأصـحاب الأمر ، فتدخل النشوة وتشد العزم ، ومن ذلك معاني القوة والنصر والعدل والكرم ، لتظل شاهداً على مناقب السلاطين والولاة . والأمر يختلف هنا حيث إنها تطرق من خلال النقش علـى المـلأ وتستمر ماثلة للعيان فهي ليست موضوعة لمناسبة عابرة أو لتظل حبيسة الأوراق يعتريها غبار الزمن .

فـي إحدى تلك اللوحات يمدح ابن زمرك الخليفة محمد الخامس حاكم غرناطة بأبيات منقوشة في الجانب الأيمن من يرطل القصر([29]) ، يقول فيها ([30]) :

تَبارك مَن ولاك أمر عِبادِهِ — فَأولى بِك الإسلام فضلاً وأنْعما
فكَم بلدةٍ للكُفْر صَبحتَ أهلها — وأمسيتَ في أعمارهم مُتَحكما
وطوقتَهم طَوقَ الإسار فأصبحوا — بِبابك يَبنُون القُصور تخَدما
وفتحتَ بالسيف الجزيرةَ عنوةً — فَفُتحتَ باباً كان للنصر مُبهماً
ومن قَبلها استفْتحتَ عِشرين معقلاً — وخَيرت ما فيها لجيشك مغْنَماً
فلو خُير الإسلام فيما تريده — لما اختَار إلا أن تعيشَ وتَسلما
لك الله من قصرٍ أطلع الهدى — لأبصارنا البدر المنير المتمما

إن عظمة تلك القصور السلطانية من عظمة أصحابها ، وتلك الحالة جعلت الشاعر يمعن في إدخال عبارات الوصف في المدح ، وخاصة عندما يستهل الأبيات أو يختمها ، إنه في الأبيات السابقة يذكر سجايا السلطان ، سواء ما تعلق منها بالدين أو الدنيا ، فهو ناصر الإسلام وطامس الكفر بما يملكه من عزم وإرادة عبر عنها بألفاظ (السيف والفتح والقوة والمغانم والنصر) ، ثم يردفها بمعاني (الحلم والبأس والندى والأمن والترهيب والخوف) ليؤكد القيادة الحكيمة لممدوحه صاحب السيطرة والسيادة وذلك نجده في قوله ([31]):

فيا ابن العلى والحِلم والبأس والندى — ومن فاقَ آفاقَ النجوم إذا انْتمى
طلعتَ بأفْق الملك آيةَ رحمةٍ — لِتَجلو ما قد كان بالظلام أظلما
فأمنْتَ حتى الغُصن من نفحَةِ الصبا — وأرهبتَ حتى النجم في أفُق السما
فإن رعشَتْ زهر النجوم مخيفةً — وإن مالَ غُصن البان شكْرك يمما

ولا غرو أن المعاني السابقة لا تخلو من مبالغة مفرطة ، وخاصة الأبيات الثاني والرابع والخامس، فالحكم والبأس والندى سجايا افتخر بها العربي على الدوام ، وألح عليها الشعراء وتفننوا في إيرادها بأشكال وصور مختلفة ، إرضاء لنزعة التفاخر لدى ممدوحيهم واستجلاباً لجوائزهم أيضاً([32]) ، بيد أن توسع ابن زمرك فيها وإمعانه في ذكرها نقشاً، ربما لأنها ستبرز محفورة ، فينال الشاعر حينها فضلاً مستمراً لأكثر من مشهد، أما إكثار الشاعر من المعاني الدينية كإطار يؤكد عليه ، ويؤثره في تقريظ ممدوحه، فذلك لأن السلطان حاكم ديني وسياسي ، عزه في عز المسلمين ، ونصرته واجبه على المؤمنين في كليتهم ، ولعل تلك الأفكار كانت سبيلاً لردع من يشقون عصا الطاعة ، أو يجعلون محل شبهة لدى عامة الناس.

لقـد حـاول ابـن زمرك -وهو شاعر القصر- إضفاء دعم معنوي لمواقف مولاه (ابن نصر)، فالدولة كانت تعاني اضطراباً داخلياً إلى جانب تآمر الأعداء وتحينهم الفرصة للفتك بها.

إن الظروف المحيطة بأرض الأندلس دعت إلى ظهور لون من المدح لا يخلو من جدة ، فلم يعد الشـعراء يسـتطيعون أن يتغنوا بالعصبية القبلية ولا الخلاف بين قبيلة وأخرى على البسيط من الأمـور ، وحل مكان ذلك التغنى بجيوش الإسلام الضخمة وأمراء الجند التي نقاتل ضد القوات الصليبية التي تجمعت في الغرب ، لقد اتجه الشعراء إلى إثارة الشعب كله كي يدافع عن الأندلس الجميل حيث يهدد أعداء الدين بإخراج المسلمين منه([33])

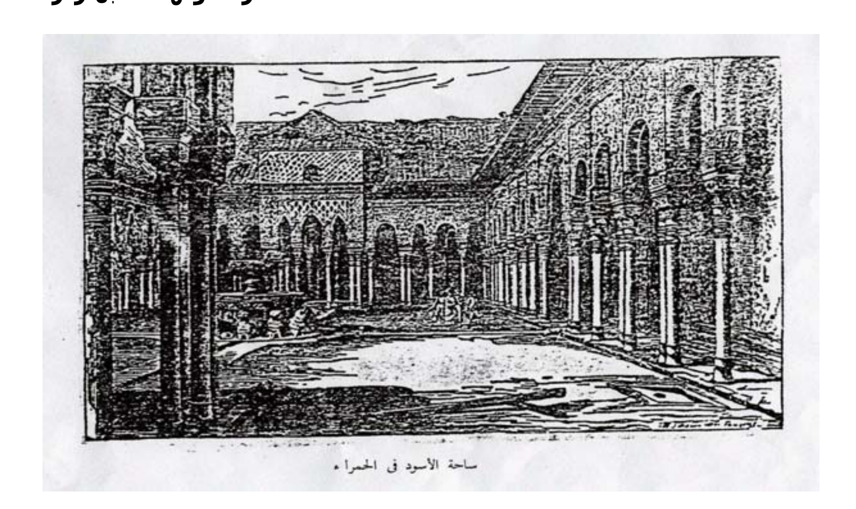
وما الشعراء في هذه الحالة إلا أبواق إعلام تقدم وتجير ما تستطيع ، فتبسط العسير وأي مدح أو فخـر يمكـن أن يوجـه للممدوح أفضل من أن يوصف بالمجاهد ، الذي يردف المسلمين بأبواق النصر، يقول ابن زمرك داعماً مولاه ابن نصر كإمام للدين والدنيا([34]):

نـالَ ابـن نصرٍ بهذا القصر ما اقترحا — فَـبابه لعزيـز النصـر قـد فُـتِحا
فانظُـر لأبـريق محرابِـي تَـراه يـو — مـثْلَ الإمـامِ إذا صـلاته افتتَحا(35)
أدام ربـي لمـولاي الـبقاء كمـا — أدام للديـن والدنْـيا يـو المـنَحا

وفي موضع آخر يقول في المعنى نفسه ([36]):

شَـيدتَ للديـن فـي علـياء شـاهقةٍ — بيـتاً مـن العـز لـم تُمـدد له طنُب
كـم مـن يـدٍ لك في الإسلامِ قد سلفَتْ — تَخْفَـى ويظْهـر مـن آثارها العجب
نُعمـى ولا مـنةٌ جـدوى ولا عِـدةٌ — رحمـى ولا غِلظَـةٌ عفْـو و لا سبب

وممـا يلفت النظر تلك السمة التي ارتبطت بشعر المدح لدى كثير من شعراء الأندلس، وهـي مـزج قصائد المدح بالطبيعة ، ونجد تلك السمة ماثلة في شعر ابن زمرك النقشي ، حيث يـتخذ الشـاعر من مظاهر الطبيعة مجالاً لإضفاء كثير من الصفات الجميلة والحميدة والأصيلة على ممدوحه ([37]) ، يقول ابن زمرك ([38]):


ساحة الأسود في الحمراء

هــذِي القِبـــي تُشَــابه الأفْلاكَــا	مِــن صَــنْع مَــن قَــد شَرف الأملاكا
- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -	- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -
يــا قصــر شُــكْراً للإمــامِ محمــدٍ	فَهــو الــذي بجمالِــهِ حلاكَــا
وحَّــباك بالــروض الأنــيق فزهــره	متبســم لمــا ازدهــته حلاكَــا

لقـد انـبهر الشاعر بمعطيات الجمال التي كان للسلطان نصيب في إحلالها ، لتتحد مع معطيات الطبـيعة التـي يغنيها الروض والزهر فتتم المزاوجة بين الجمالين في سمات الممدوح إمعاناً في كرمه وعدالته وهيبة جانبه. وفي موضع آخر يقول مفتخراً في ثوب المدح([39]).

خَلَــد اُ ذَا المكَــان الســعيدا	يتَقَضــى الــزمان عــيداً فعِــيدا
كُلمــا مــر للمســرة يــوم	فــي حِمــاه يعــود غَضــا جديــدا
أنــا قَــوس الســماءِ لكــن سِهامي	بســعودِ الإمــامِ تَرمِــي الحســودا
فابــن نَصــرٍ محمــد خَــير مولــى	مــد للأنــس فــي ظِــلاً مديــدا
زان ربعــي بِكُــل صنْــع بديــع	زيــن اُ مــن عــلاه الوجــودا

فـالممدوح شـجرة فياضـة بالسـعود ، تمد بفروعها الأرض الخلاء ، وتروي بخضرتها ظمأ المحتاج، ويحاول الشاعر توظيف الإمكانات الفنية من زينة وبديع ومفارقة ، إضافة إلى إيقاعات صـوتية وظف من خلالها موسيقا القافية التي أعطى بإطلاقها مدى وطاقة صوتية تردف الشاعر بمزيد من الاتساع تعين في طبيعة الأداء.

لـيس عجـباً إذاً أن تتزيـن جنبات القصر بمثل تلك الأشعار لابن زمرك ففيها تناغم بين بعض مظاهـر الطبيعة الغناء من ناحية ، وما يعتمل في نفوس أصحاب السلطان من إعجاب من ناحية أخـرى ، فقـد وجـدوا في نقوش الشاعر رموزاً سحرية تشعرهم بالأمان وتزيدهم تيها، حينما يستحيل القصر بزخارفه المحفورة أغنية جميلة تحول البناء كله إلى كلمة تسبح في عالم الإيقاع.

وليس من الشطط القول : إن ابن زمرك سعى بشعره النقشي إلى تحقيق وظيفة لا تخلو أحياناً من نـزعة نفعية وهي التغني مدحاً بهؤلاء الأقوياء القادرين ، الذين قاموا بتشييد هذه القصور([40]) ، ولم يعدم في أثناء ذلك تحقيق أهداف ذاتية ولو على حساب الفن.

فـإذا مـا ذهبنا إلى موضوع الوصف نجد أنه لقي اهتماماً واسعاً في نقوش ابن زمرك الشعرية، وقـد كان لوصف الطبيعة جانب أكبر في المناظر الطبيعية كالحدائق والغابات، بل دخلته مفاهيم أخـرى تـتعلق بمـا اصطنعته يد الإنسان من مظاهر حضارية كالتماثيل والقصور وغير ذلك ، ومعـروف أن الاهتمام بتلك الأمور المبتكرة لا يخلو من تحسين لنوعية الحياة ، حيث يشبع حاله جمالية تجمع بين حاجات الفرد ومطالب البيئة([41]).

وإذا جـاز لـنا أن نصـنف وصف القصور بزواياها الداخلية وجنباتها الخارجية ضمن أوصاف الطبـيعة الصامتة ، التي يلحق بها وصف الآثار والنوافير وكل ما يتعلق بالقصور من منجزات حضارية ... يمكن القول إن ابن زمرك قد أسهم في شعره النقشي بجانب كبير من ذلك الوصف، ذلـك أنه عاش حياة القصور ، وسحر بمفاتنها ، حيث كان يتنقل بين أفنانها وأعمدتها ، وفي كال حالة كانت تغمره الطبيعة باشراقها ، لذا جاء شعره النقشي ينبض في أغلبه بمظاهر الطبيعة([42])، يجاذبهـا الجمال بالكلمة والإشراق بالصورة التي تنم عن تأثر الوجدان بخرير الماء الساحر تحت الأرض أو بقمـر يشـدو عزلـته في ليلة أندلسية صافية السماء ، أو بأريج عطر يفوح صوب الشـرقات العالـية فـي قصور الحمراء التي غمرت الأشعار المنقوشة قاعاتها وغطت جدرانها وأعمدتهـا كمـا يذكـر فـون شاك([43]) ويضيف أنها تبدو للناظر رموزاً سحرية تُشعره بالأمان والاطمئنان وتلفه في حنان غامر منشدة أغنية جميلة يتحول بها البناء كله إلى شعر و إيقاع([44]).

يرمق ابن زمرك تلك المغاني التي زانت جنبات القصور فيرسمها نقشاً على خصة الرخام القائمة عند نافورة الأسود ، فيقول([45]):

تَـبارك مـن أعطـى الإمـام محمـداً	**معانـي زانَـتْ بالجمـال المغَانَـيا**
وإلا فهـذا الـروض فـيه بدائـع	**أبـى اللـه أن يلفـى الحسـن ثانِيا**
ومـنْحوتَةٌ مـن لؤلـؤ شفَّ نُورهـا	**تُحلـي بمـرفَض الجمـان النواحِـيا**
يـذوب لُجيـنٍ سـالَ بيـن جواهـرٍ	**غَـدا مـثْلها في الحسن أبيض صافِيا**

ألـم تَـر أن المـاء يجـرى بصـفْحِها ولكــنها ســدتْ علــيهِ المجاريــا
كمـثلِ محِـب فـاض بـالدمع جفْـنُه وغَـيض ذاك الدمـع إذ خاف واشيا
وهـلْ هِـي فـي التحقِيق غير غمامةٍ تُفـيض إلـى الآسـادِ منْها السواقيا
وقـد أشـبهتْ كـف الخلَـيفةَ إذا غدتْ تُفِـيض إلـى أُسـدِ الجهـاد الأياديا
ويـا مـن رأى الأسـاد وهي روابض عداهـا الحـيا عـن أن تكُون عواديا

فهـو يسـتهل بمـباركة الإمام فيما حباه ا من المغاني التي ازدانت بها قصوره ، وعينه على الـرياض والمـياه والغمـام والحـيا ، وما تشكل لديه من معانٍ أثيره تتدفق فياضة في أحضان الطبيعة، لتبسط مداها في أحضان النفس.

أمـا تمثـيله لحـركة المـياه وهي تندفع بين أفواه تماثيل الآساد وربطها بقوة السلطان وجولاته الجهاديـة التـي تتجدد كتجدد المياه من أفواه الأسود وهي رابضة في قصره، فهي مشاهد تناغم واقـع الصـورة الماثلـة عبر تماثيل الأسود، حاول الشاعر خلالها إيجاد رابطة فنية بين الكلمة والمشهد لتعبر عن واقع يفتح آفاقاً للعبرة والتأمل.

وفي جانب آخر من المشهد المحيط بالقصر تبرز الخضرة في البراعم الجديدة، وتتفتح الأزهار ، وتنتشـر قطرات الندى على حين يعبق نسيم الصبا بأريجه كامل الزوايا والأنحاء ، تلك المعاني وغـيرها حفرها ابن زمرك بالنقش البارز على قصر الحمراء ، أو كما نعته (بقصر السلام) في قوله(46) :

ســلام ا يــا قصــر الســلامِ علــى أرجــائِك الغُــر الوســامِ
فكــم روضٍ بروضِــك للأمانــي يــنم بعــرفِهِ زهــر الكِمــامِ
وكــم غُصــنٍ لِقــد ذِي قــوامٍ وكــم ثَغْــرٍ لزهــرٍ ذِي ابتســامِ
إذا ضــحِكتْ ثُغُــور الزهــر فــيها تَـباكى فوقهــا زهــر الغمــامِ
مطــالع مجــتلى نُــور ونَــور تُدِيــر شُموســها شَــمس المــدامِ

يمـيل الشـاعر فـي الأبيات السابقة إلى التشخيص حتى لا تبدو صوره الشعرية جامدة مشلولة الحركة، نجد ذلك في قوله (ضحكت ثغور الزهر، تباكى فوقها زهر الغمام، تدير شموسها شمس المـدام) وتلك الحيوية التي نهض بها الشاعر في ألفاظه وصوره لا تبدو ماثله في بعض أشعاره الأخرى . يقول في إحدى نقوشه التي لا تخلو من وصف بعض مظاهر الطبيعة(47):

انْظُر لروضٍ محلّى — مثلَ العروس المجلّى
وقُبّةَ المُلكِ حازتْ — فوقَ النجومِ محلّا
رفعتُ قوسَ سماءٍ — ترمي من السعدِ نَبْلا
ولُحتُ مظهرَ حسنٍ — به الأباريقُ تُجلى

ومن مثلها ينقش على باب البيت من القصر([48]):

هذِهِ الدار جنةٌ للخُلودِ — في سرورٍ مواصلٍ وسعودِ
جمعتْ لِلنَعيمِ فيها فنُون — من ظِلالٍ نَدى وعذْبٍ برودِ

وفي الدار المناظرة لها من القصر نفسه كتب ([49]) :

هذِهِ جنةُ النعيم تجلتْ — ليس عنّها لساكن من براح
فنُقُوشي تبدو كزهر رياضي — وبياضي يحكي محيّا الصباح
وفسِيّ على الأباريق تحنُو — تطلب الورد في البرودِ الفراح
هكذا هكذا تكُون المباني — طُرقُ الجد غير طُرق المزاح
وصلَ اللهُ بابن نصرٍ سعودي — فهو غيثُ الندى وبدر السماح

يمضي الشاعر بعبارات يحشدها في بساطة وتتابع مصورة جمال الدار ونشوة الاستمتاع بها غير أن الأبيات لا تخلو من تلاعب بالألفاظ ، تارة من خلال نغم الموسيقى الداخلية، الذي وظفه ابن زمرك بالتكرار والمقابلات والألفاظ المرصعة المقصودة ، وأخرى من خلال استدعاء القافية الملائمة لموسيقاه الإيقاعية ، وفي النتيجة يحاول أن يشكل من كلماته مظهراً جمالياً تختلط فيه نقوشه البارزة بنقوش الأرض الطبيعية وما تبرزه من سحر قشيب ، وصولاً إلى غاية فنية ومعنوية يسعى لها ، بصرف النظر عما إذا كانت تحمل الأبيات وجداً ، أو تعبر عن أحاسيس حقيقية .

إن مثل تلك القصائد التي انصرف فيها الشاعر عن التعمق في المعاني التي طرقها وميله إلى الزخارف اللفظية جعل من الدارسين من يتهم شعره النقشي بالجمود أو "بخلايا النحل الشمعية التي يروع الناظر نظامها الهندسي ، غير أنها خالية من العسل" ([50]).

وفي ذلك القول نظر ، لأن الأشعار النقشية تعبر في مضمونها وهيئتها عن مرحلة بعينها مال فيها الشعراء إلى النمط التصويري الذي يناغم في بعض أشكاله معالم التحضر ، ومعروف عن

الأندلسـيين مـدى عنايتهم بتزيين القصور والتماثيل والبرك الصناعية والفوارات الفرش والحلي والنجف المزدانة بالزخارف الرائعة التكوين([51]) ، تلك التعقيدات الحضارية إن صح التعبير كان لها أن تعزز بتعقيدات فنية وجدت طريقها على يد أصحاب الصنعة من الفنانين والأدباء([52]).

لقـد انشغل ابن زمرك بتأكيد المضامين الحضارية ، أو قل المعاني التي تؤكد عظمة قصور بني الأحمر في مضاهاة من سبقوهم في التقدم والعمران، فيقول منقوشاً على الخشب ([53]) بالبيت من القصر الكبير([54]):

مـاذا عسـى التشـبيه والتمثـيلُ	**والـ جالـي فـي الوجـود مثيلُ([55])**
فلقـد رفقـتُ بـدار خُلـدٍ زخُرفـتَ	**يـرتد مـنها الطـرفُ وهـو كلـيلُ**
قصـر تقاصـرتِ المـدارك دونـه	**فـيحار فـيه الوهـم والتعلـيلُ**
هـيهاتَ مـا كسـرى ومـا إيوانُـه	**لا يسـتوي التوحـيد والتضـليلُ**
قـدر المعـالم قـدر مـن قـد شـادها	**فـإذا لـي الـتقْديم والتفصـيلُ**
- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -	- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -
مـتقابلُ الأوضـاع مـرقُوم الحلـى	**فـيروقك الإجمـالُ والتفصـيلُ**
فانظـر بـأندلس بـيوتَ قُصـورها	**ولأهلهـا الإتقـان والتحصـيلُ**

الأبيات السابقة من قصيدة طويلة تشيد بمآثر سلاطين بني الأحمر وما سطروه من إبداع حضاري يمـثل تأنقاً مدنياً يعكس واقعاً اجتماعياً واقتصادياً ، ينم عن مظاهر الترف والنعمة التي أوصلتهم إلـى مـثل هذا التفنن في المجال المعماري بحيث " شادوا القصور ونحتوا تماثيل جوارح الطير والحـيوان ، وصـنعوا نمـاذج مـن الأشجار على غرار أشجار الطبيعة ، وقد حباها الصناع بالزخرفة والزركشة"([56]).

إن فخـر ابن زمرك وإعجابه ببيئته الملوكية المتحضرة جعلته يسخر من إيوان كسرى على عظمته ، ويزهو في الوقت ذاته بقصور غرناطة وأهلها متتبعاً كامل الصورة حتى يستوفيها ، في لقطـات جزئـية ، فهـو ينعت مبانيها بقصور الحق لجمالها وجلال أهلها ، ويذهب إلى لون من المفارقـة فيصـف أعداء الإسلام بالضلال أولئك الذين شادوا حضارة واهمة لا تداني الحضارة الإسـلامية بعدلها وتوحيدها. ويمكن القول ، إن العمران (فن العمارة) ظاهرة ارتبطت أكثر ما يكـون بالحضارة الأندلسية ، وإن جمال الطبيعة لم يمنع الأندلسيين من الاهتمام بتزيين القصور مـن المرمر بأشكال جميلة تزينها الأشعار التي وضع تصميمها الشعراء الكبار أمثال ابن زمرك وغيره([57]).

ورغم ما قدمته بعض لوحات النقش الشعري من أداء جمالي راقٍ ، فإنها لم تسلم من أقلام بعض المستشـرقين الذين مالوا إلى التعميم فوصفوها بالرتابة الموهنة والتكرار المضني وزوال جمال اسـتعاراتها([58]) ، بـل منهم من اعتبر تدوين الشعر على هيئة النقوش نوعاً من الاحتفاظ بجمال الشـعر مـن خلال الكتابة على الجدران بعد أن أهزلته الشيخوخة، لقد سعى بعض المستشرقين للقـول بأن الكتابة النقشية ويقصد هنا زخرفتها، أضفت على الشعر جمالاً بعد وصوله إلى حالة من الضعف المزعوم.

يقول إميليوغرسيه غومث:

"لـم يكن هذا الشعر قانعاً بأن يظل حبيس مخطوطات يعلوها تراب الزمن ، وحينما لم يعد قادراً علـى أن يشـغل أو يطرب الأسماع انفجر ذلك المنطاد وتحول إلى فقاقيع جمدت على الجدران فألقـت عليها ما كساها من ألوان قوس قزح ، فأصبحت –وما زالت- متعة للعيون بعد أن انقلبت إلى نسيج متشابك من الكتابات المنقوشة كأنها كفن على نعش من الزخارف والتوريقات"([59]).

وهذا القول يقبل النظر ، بل فيه مجافاة للحقيقة ، لأن الشعر كان ومازل حينها فن العربية الأول، وكـان له أغراضـه المختلفة ، وإن هذا الحكم على ضعف الشعر المنقوش لمصلحة الكتابه ليس دقـيقاً ، فالشـعر النقشي كان له ما يسوغه إلى حد ما ، إذ أصبح وسيلة من وسائل الإعلام التي تتغنى بأمجاد الأمراء والسلاطين ، ولا تستطيع الكتابة وحدها أن تؤدي دور الشعر ، لما للأخير من تأثير في النفوس.

كمـا أن مجيء الشعر بهذه الشاكلة المزخرفة قد نما وتطور بتأثير من الفن الإسلامي الذي اتسم فـي بعـض صوره بالتجريد والميل إلى التنميق والتشكيل الهندسي([60]) ، ولقد حاول ابن زمرك الجمع في نقوشه بين السمات الأسلوبية للشعر وجمال الخط والكتابة.

ولا يخفـي مـا لتلك النقوش الكتابية في القصور من أهمية كوثائق ومستندات لا يرقى إليها الشـك،إلى جانب أهميتها كعنصر زخرفي، إنها تسجل لنا أفخم وأجمل طبعه لديوان من دواوين الشـعر العربي؛ فلم يسبق أن صدر ديوان للشعر مذهب ومنقوش على الجص والحجر والرخام، ومزخرف بأروع التشكيلات الهندسية والنباتية([61]).

لقد أوحت تلك النقوش بدلالات تعبيرية ، سواء ما وقع منها بالمجاز الشعري ، أو ما عكسته تلـك الأشـعار في قالبها الفني الجديد ، التي نأت بنفسها عن الكراسات المسطورة بالخط المسند لتـبرز براقة على سطوح جديدة لها ما يبررها في ذلك العصر ، فهل رسمت بالنقش كما كانت مـتعلقة بالـنفس الإنسـانية ، أم هـي مقتضيات حضارية كان لا بد لها أن تدون على الأسطح

والجـدران ، لـتذكر بذلـك الفن الجمالي الذي ارتقى إلى لغة حوار تعبر عن رهافة حس ذلك المجتمع وما يسوده من ذوق جمالي.

المبحث الثاني

شعر النقوش عند ابن زمرك - دراسة فنية

تتشـكل مادة الأدب من اللغة ، يستعملها الشاعر أو غيره استعمالاً خاصاً ، وبها ينقل إلى الناس خـبرة تتناسـب مـع تجربته الشعرية ، تلك التجربة التي يصقلها متأثراً بذوق العصر ومكوناته الثقافـية ، واللغـة المقصـودة هـنا " ليست مجرد ألفاظ تقال ولكنها بناء حي وتعبير كامل عن المضـمون" (62) ، وقـد عرف بعض الباحثين الأدب بأنه بناء لغوي يستهدف توليد الحياة التي تحـدث متعة جمالية Pleasure ([63]) ، ولا غرو أن هذا التعريف قد يلتقي في بعض وجوهه مع دراسـة الشعر النقشي : التي تواءمت فيه تقنيات اللغة مع جماليات الشكل في الأحرف المزخرفة علـى الأجسام الصلبة ، فكلاهما يسعى لبلوغ الجمال بطريقته ، وإن كان لكل منهما مسلك خاص لـبلوغ ذلـك الجمال ، وعلى هذا يبدو أن الكلمة العربية عندما استخدمت كإطار فني في الشعر العربي المنقوش، لم يكن القصد الإفادة من شكل هذه الكلمة الفني بحد ذاته وحسب بل كان القصد تركيب لوحة فنية ذات أبعاد ودلالات مختلفة ([64]).

المعجم الشعري ومؤثراته :

وإذا رجعـنا إلى لغة المعجم الشعري التي نسجها ابن زمرك في نقوشه سنجد أنها متأثرة إلى حد بعـيد بـنهج الحـياة الأندلسية ، تلك الحياة التي غلب عليها مظهر التحضر والتأنق في العصر الغرناطـي كان إذاً لا بد لمعجم هذه اللغة أن يواكب ليس فقط المجتمع المتحضر، بل أيضاً بيئة القصور الخاصة التي نقشت بعض الأشعار على أطرافها وأبوابها وسطوحها المختلفة.

ويجدر قبل الخوض في توضيح جانب من السمات اللغوية والأسلوبية لشعر النقوش ، بيان بعض المؤثـرات التـي أسهمت في إثراء لغة ذلك المعجم من ألفاظ الطبيعة والدين والحضارة والتراث وغيرها.

لقـد شـكلت ألفـاظ الطبـيعة بما تنطوي عليه من إيحاءات خصبة مصدراً ثرياً لإمداد الشاعر بمكونـات الصـورة ، فـتعددت من أجل ذلك مشاهد الجمال وألوان الزينة والتأنق التي جملتها عبارات الشاعر ، يقول ابن زمرك في إحدى قصائده النقشية([65]):

و مبـــناي الجمـــيل فإنـــه	**يفـوق علـى حكـم السـعود المبانيا**
فكـم فـيه للأبصـار مـن متـنزه	**تجـد بـه نفـس الحلـيم الأمانـيا**

ثبتــت له خمــس الــثريا معــيذةً ويصـــبح معـــتل النواســـم راقـــيا
بــه القــبة الغــراء قــبل نظــيرها تــرى الحســن فــيها مستكنا وباديا
تمــد لهــا الجــوزاء كــف مصــافح ويدنــو لهــا بــدر الســماء مناجــيا
وتهــوى الــنجوم الزهر لو ثبتت بها ولــم تــك فــي أفــق السماء جواريا

ويستمر الشاعر في توضيح لوحته بألفاظ (الروض والثريا والنجوم والزهر والسماء)، وذلك نهج ســار عليه أكثر الشعراء الأندلسيين، الذين أحبوا الطبيعة وعشقوها، حتى غدت كثير من ألفاظها تشغل مساحة واسعة من شعرهم ، وابن زمرك واحد من الشعراء الذين أغرموا بالطبيعة فاكتسب مســحة مــن الذوق الرفيق الذي يهتم بتزيين المباني بذلك الشعر الذي يقترب -إلى حد ما- من ألــوان الطبيعة التي انعكست على ملابسهم ومفروشاتهم وأدبهم ، وهذا اتساق جمالي فكري كان للشعر فيه حظ وافر([66]).

وقد أثرى الشاعر معجمه النقشي بكثير من الألفاظ التي تنم عن الحضارة الغرناطية، بل لا نغالي إذا قلــنا : إن أكــثر الشعر المنقوش على جنبات القصور جاء لينقل لنا تلك المنجزات العمرانية المتمــثلة فــي القصــور والشرفات والتماثيل والقباب والكوى([67]) وأحواض النوافير. لقد غدت القصور الملكية رمزاً للفتنة والانبهار لدى ابن زمرك ، فهي منارة للعيون ، تجذب العقول وتأسر الأنظار ، أو كما يقول([68]):

مــنازلُ فـــيها للعـــيون مــــنارةٌ تقــيد فــيها الطــرف أو تعقــل العقْــلا
وجانبهــا بــرد الهــواء نســيمها فصــحت هــواء والنســيم قــد اعــتلا
وأبــرى بهــا أفــقَ الزجاج عجائباً تخــط علــى صــفْح الجمــال وتُستَملى
تعــدد مــنها اللــون والــنور واحِد فإن شئْتَ قل ضِداً وإن شئت قلْ مِثْلا

المــتأمل للــنص الســابق يلاحظ تركيز الشاعر على المشاهدة ومدى انبعاث بريق الألوان التي تتراءى مختلفة في لون واحد ، ومتسقة في ألوان عدة ، متخذاً من تداخل الألوان وأبعادها دلالات تتناغم مع الحالات النفسية والحسية للمشاهد.

كما حفل شعر النقوش بنصيب من الأثر الديني ، سواء بتضمين بعض النصوص معاني دينية من القرآن الكريم أو السنة أو بالإشارة إلى دور خلفاء غرناطة في تمكين الدين وحفظ مآثره

يقول ابن زمرك في إحدى نصوصه([69]):

وينطق الشاعر إحدى طيقان القصر محاكياً جماله بمحاريب الصلاة فيقول([70]) :

أنـــــا محـــــراب صـــــلاةٍ ســـــمتُه ســـــمتُ الســـــعادة
تحســـــب الإبـــــريقَ فـــــيهِ قائمـــــاً يقضـــــي عِـــــباده
كلمـــــا يفـــــرغُ مـــــنها وجبـــــت فـــــيها الإعـــــادة
وبمـــــولاى ابـــــن نَصـــــر شـــــرف ا عـــــباده
قـــد نَمـــاه ســـيد الخَـــزرج ســـعد بـــن عـــباده

لعلـك تلاحظ استدعاء الشخصية الدينية في البيت الأخير([71]) ، الذي يؤكد به الشاعر عظم هؤلاء الملوك وأصالتهم ، الذين شرفوا الإسلام في ماضيهم التليد وحاضرهم العتيد ، ويؤكد ذلك بتكرار المعاني السابقة حين يقول ([72]):

هم الإمام محمدٍ قد شَادها شَرفٌ على رغم الزمان أصيلُ
وإذا نظرت لخلقه ولخُلقه فالبدر تم والرياض بليلُ
أنى يضاهيه ويشبه فخره فخر وأنصار النبي قبيلُ؟
القوم أهل ا حزب رسولهِ في وصفهم قد أحكم التنزيلُ
ما ذا يحبر شاعر في مدحهم ومديحهم قد نصه جبريلُ
وصفات أصحاب النبي محمدٍ جاءت بها التوراةُ والانجيلُ

فالإشـارات الدينـية هنا واضحة من مثل (أنصار النبي ، حزب رسوله ، أحكم التنزيل ، نصه جبريل، أصحاب النبي محمد صلى ا عليه وسلم ، التوارة والإنجيل وغيرها).

ولعـل إكـثار ابـن زمرك من هذا الأثر الديني فيه دلاله لفظية ومعنوية ، فهو يمس أفئدة الناس بطريقة مؤثرة وفي جانب آخر لا يخلو من إجماع على حب الدين وسيرة الرسول صلى ا عليه وسـلم ، وليس من بأس بعد ذلك لو وصف الخليفة بمعز الإسلام ومذل الشرك ومصرف الأمور ومديم النعم بشكره ومتم الأمر بعد له([73]).

وهناك نماذج فيها تضمين مباشر من النص القرآني حيث يقول الشاعر([74]):

ذاك صرح الزجاج من قد رآه ظنه لجةً تروع وهالـه

يشير إلى قصة ملكة سبأ (بلقيس) مع النبي سليمان عليه السلام الذي وردت في سورة النمل لقوله تعـالى ([75]) " **(قِيلَ لها ادخُلي الصرح فلما رأَتْه حسِبتْه لُجةً وكَشَفَتْ عن ساقيها قالَ إنه صرح ممرد من قوارير...)**

وارتـبط شـعر الـنقوش ببعض المأثورات التاريخية ، حيث نجد الشاعر يستعين بمخزونه من الأفكار والمعاني والصيغ فيقول في إحدى مقطوعاته([76]):

إن الإمــام محمــداً ورث العلـــى ... كأبـــيه مولانـــا أبـــي الحجـــاج

- - - - - - - - - - - - - - - - - - ... - - - - - - - - - - - - - - - - - -

وقـد اعـتلى الكرسـي تحسب أنه ... ســلطان فــارس قــاعداً بالــتاج

ويقول في نموذج آخر ([77]) :

قصـر تقاصـرت المـدارك دونـه ... فــيحار فــيه الوهـــم والتخيـــيلُ

هـيهات مـا كسـرى ومـا إيوانُه ... لا يســتوي التْوحـــيد والتضـــليلُ

وأنـا الـذي يـزهى بأيمـن نصبة ... والشـاهدان العــدلُ والـتعديلُ

وقـد اعتلقـتُ مـن الجمال بعروةٍ ... يصـــبو إلـــيها عـــروةٌ وجمـــيلُ

لقد عمد الشاعر في النصين السابقين إلى مسميات ذات دلالات تحكي رموزاً تاريخية تعد مخزوناً ثقافـياً لا ينضـب، أراد ابن زمرك أن يستحضرها ، بل يجسدها محفورة من خلال النقش ، كي تبقـي شـاهداً على فضل العربي المسلم وما قدمه في حقب التاريخ المختلفة. ويعتقد الباحث أن الشـاعر فـي استعانته بالمخزون التاريخي من أحداث وأسماء إنما يسعى إلى غاية لا تخلو من إطـار نفعي درج عليه طائفة من الشعراء، وذلك الإطار أياً كان لا يمنع غاية فنية تنسجم والبناء الفنـي للقصـائد ، وفـي هذا الصدد يرى بعض الباحثين "أن الشعر العربي لا يستجيب للتركيب مجـرد رغبة فنية بحتة ، بل متجه لوعي أشمل وأعم، إذ إن التراث يمثل ذاكرة الإنسان الواعية لماضيه"([78]).

لعلـنا فـيما تقدم نكون قد وضحنا بعضاً من المؤثرات أو المصادر التي أسهمت في إثراء معجم شـعر الـنقوش عند ابن زمرك ، ولكي تستكمل الصورة يجدر الإشارة إلى بعض السمات الفنية لذلك المعجم .

وأول مـا يمكـن ملاحظـته على لغة شعر النقوش أنها تتسم بالسهولة ، حيث تتلاحق ألفاظها بسلاسة ويسر دون أن يعتريها غريب أو مستكره ، فالتراكيب مستمدة من واقع الحياة ، اسمعه يقول([79]) :

إن ابـن نصـر وما أدراك من ملِكٍ ... مـن قصـره طالعاتُ النصر ترتقب

مؤيـــد تَرهـــب الآلافُ صـــولته ... لــو أوعــد الأفقَ ما لاحتْ له شُهب

يحـدو الملـوك إلـى أبوابـه رهب	إذا العفـاة حداهـا نحوهـا الرعب
لا زال فـي عـزة تعنوا الملوك لها	ويرهـب البأس منها العجم والعرب

فالألفاظ سهلة ، لم يكد الشاعر نفسه في استرسالها ، فلا يطرق أسماعنا بكلمات غامضة ، ويبدو أن رقـه الحياة وتمدنها انعكس على التطور اللغوي في بيئة الأندلس، ذلك أن اللغة الشعرية على الـرغم مـن أنه عمل يعكس قدرة الشاعر، الذاتية والفنية فإنه إذ يعتمد على الخلق والإبداع فإنه يرتكز على التقاليد الشعرية الراسخة من جهة ، ولغة الحياة المعاصرة من جهة أخرى([80]).

ومـن سـمات لغة شعر النقوش أيضاً بساطة اللغة المستعملة ، حيث ابتعد ابن زمرك في الغالب عن الجزالة وآثر المزاج الشعبي دون أن يسقط إلى درك العامية ، رغبة في إسعاد العامة فضلاً عـن أهـل القصر الحاكم الذين كانوا بسبيل إلى إرضاء المزاج العام ، فلا غرو إذن أن تتناغم الأشعار المنقوشة وبساطتهم فتزيد أواصر اللحمة بينهم وبين الحاكمين في زمن كثرت فيه القلاقل واشتد أوارها.

وقد تلحظ في لغة النقوش عفوية وارتجالاً ،وخاصة في المقطوعات القصيرة التي تأتي غالـباً اسـتجابة للذوق العام ، وتسهم في تحقيق شعبية الشعر وسرعة تناقله ودورانه على ألسنة الناس([81]) ، يقول الشاعر في بعض تلك المقطوعات([82]):

أنـــا مجـــلاة عـــروس	ذات حســـــن وكمـــــال
فانظـــر الإبـــريق تعـــرف	فضـــل صدقي فـــي مقالـــي
واعتبـــر تاجـــي تجـــده	مشبـــهاً تـــاج الهـــلال
وابـــن نصـــر شمـــس فلـــك	فـــي ضـــياء وجمـــال
دام فـــي رفعـــة شـــأن	آمـــناً وقـــت الـــزوال

ويقول في نقش آخر ([83]) :

كـل صـنع أهـدى إلـى جمالـه	وحبانـي بهـاءه وكمالـه
فـإذا مبصـري تـأمل حسـني	خال ذب الحسـن بالعـيان خياله
ورأى الـبدر مـن شفوف ضيائي	حـل طـوع السـعود منـي هالـه
لسـت وحدي قد أطلع الروض مني	عجـباً لـم تـر العـيون مـثاله

فالشـاعر يرسل الألفاظ في المقطوعتين السابقتين على سجيتها في لغة أقرب إلى العفوية دون أن تفقد رشاقتها أو خفتها ، وبإحصاء بسيط قام به الباحث أثبت أن نسبة المقطوعة من شعر النقوش لدى ابن زمرك تصل إلى 68% قياساً إلى القصائد التي بلغت نسبتها 32% وتلك النتيجة قد تفسر مـا أشرنا إليه من سمات السهولة والبساطة والارتجال التي غلبت على ذلك المعجم ، ولا يعني الأمر أن قصائد النقوش خلت من السهولة والخفة فتلك سمة عامة استدعاها ذوق العصر ، بيد أن طـول القصـائد يحـتاج في الغالب أناة وصبراً يجعلان الشاعر يطيل النظر في أبياته ما يجعل ألفاظه أكثر تماسكاً وقوة وحسن سبك.

بقـي أن نشـير إلى سمة مهمة ، وهي ميل الشاعر إلى استخدام كثير من الكلمات التي لها دلالة على النقش وجمالياته ([84]) ، مثل (نقش، نمق ، رصع ، وشى ، صبغ ، الشعاع ، اللآلئ، الديباج، الدر ، العقود ، الجمال ، البهاء ، وغيرها).

وهكـذا يعكس العلاقة القوية بين الشكل والمعنى في شعر النقوش ، كما يعكس طابع الوحدة في الفن العربي بأبعاده المكتوبة والمنطوقة والمنقوشة .

الزخرف البديعي:

تظهـر فـي الملامح الأسلوبية لشعر النقوش عند ابن زمرك نزعة زخرفية واضحة ، سواء في الألفـاظ أو فـي التراكيـب ، وتلك النزعة لا تنأى عن العناصر الحضارية التي مازجت ثقافة الشاعر، فجعلته مسوقاً إلى تلوين أسلوبه ، يشكله بحشد من الصور والزخارف ليرقى بذلك حسه الفني .

ولقـد كـان التوجه للبديع وبخاصة السجع وإظهار التأنق في الكتابة والشعر صدى لما حدث في الحـياة من تطور على مختلف مستوياتها وذلك يمثل تناغماً مع ذوق العصر، استجابة من الفنان لما يتوقع منه معاصروه([85]) وقد خطا الشعراء في العصور المتأخرة خطوات حثيثة لتحقـيق قيم جماليه تنمو بذوق الإنسان وفكره، ومعروف أن التأنق الحضاري عادة ما يتبعه تأنق في الفكر فتأنق في الأسلوب([86]).

والمـتأمل لكثـير من نصوص ابن زمرك النقشية يدرك جنوح الشاعر نحو حرفية التصنيع من تـزاحم للصور وتنميق للألفاظ والإسراف في العناية بالشكل ، وقد تمثل ذلك في البديع المتكلف من جناس وطباق وترصيع وترادف وكذلك التكرار بأنواعه ، ولزوم ما لا يلزم إلى غير ذلك من صنوف العناية بالشكل ، يقول ابن زمرك في إحدى نقوشه ([87]) :

هـذي الفِسِـى تُشـابه الأفلاكـا ... مـن صـنع مـن قد شرف الأملاكا

وكأنمـا إبـريقها ملِـك وقـد ... نُظِـم المديـح بـتاجِهِ أسـلاكا

فَانْظُـر جمـالاً يسـتَفز ذَوي النهى ... إن كُنْــتَ تَهــوى غِــره أَســلاكا
يــا قصــر شُــكراً للإمــام محمــدٍ ... فَهــو الــذي بجمالِــهِ حلاكــا
وحــباك بالــروض الأنــيق فَزهره ... متبســم لمــا أزدهــته حلاكــا
لا زال فِــي أُفْــق الخِلافَــةِ نــيراً ... يجلُــو بــباهِر عدلِــهِ الأحلاكــا

فالشـاعر يرسم لوحة يصف فيها جمال القصر ، ويبالغ في بيان ملامح ذلك الجمال ، فهي حيناً زيـنة القصـر في مبناه وهي زهوة الطبيعة التي تلفه ، أو بهاء الإمام وألقه وسموه الذي طمس بعدله الأحلاكا.

وقـد حشد لمعاينة السابقة جملةمن الألوان والأصباغ الأسلوبية ، فتجده كرر (أسلاكا) و(حلاكا) غـير مـرة ، وألـزم نفسه حروفاً بعينها في الأبيات جميعها ، حتى لتشعر أنه تحايل لاستدعاء القافية، فأحدث نوعاً من التقارب النغمي والتناسق في العبارات مما انعكس في تجميل موسيقاه ، لـولا وقـوع كلمة (يستنفر) في البيت الثالث بما توحي من نفور معنوي ونغمي ، قد يؤثر على كامل اللوحة .

وفي لوحة أخرى لا تخلو من التكلف يقول ابن زمرك ([88]) :

فكَــم روض بروضِــكِ لِلأمانِــي ... يــنم بعــرفِهِ زهــر الكِمــامِ
وكَــم غُصــنٍ لقــد ذي قَــوامٍ ... وكَــم ثَغْــر لزهــرٍ ذِي ابتَســامِ
إذَا ضــحِكَتْ ثُغُــور الزهــر فــيها ... تــباكى فَوقَهــا زهــر الغَمــامِ
مطــالِع مجــتلى نُــور ونَــور ... تُدِيــر شمُوســها شَــمس المــدامِ

لاحـظ الـتكرار المـتعدد في الكلمات (كم ، روض ،زهر ، نور ، شمس) ، والجناس الـناقص فـي (شموسها وشمس) ، والتام في (نور ونور) إلى غير ذلك من الترصيع والتصريع والمقايـيس المحكمة لأطوال وأحجام الكلمات ، وكأنه ينسج صوره في صياغة أقرب إلى العمل الـتجريدي ، الـذي يعتمد على وصف الأحداث بألفاظ تستحيل إلى أدوات صنعة يعتمد عليها في تشكيل الصورة من مختلف أبعادها وزواياها([89])، إنه يتعمل ويتكلف بأسلوب له حضوره في كثير من أشعاره([90]).

ويمكن الاعتقاد أن اهتمام الشاعر بهذا النهج الزخرفي في نقوشه كان من نتائج العصر الذي ولع بهذا الجانب حتى غدا كالهواء الذي يتنفسه كثير من شعراء الأندلس في تلك الفترة التي تزاحمت

فـيها أسـاليبهم حـتى امتلأت بصنوف من الصنعة اللفظية بعد أن كانت أكثر قرباً من القريحة الفطرية .

ولا يغيـب عن كثير من الباحثين أن مسألة الزخارف اللفظية والبديعيات قد تأثرت بمجموعة من العوامل ، أسهمت في وجود مثل هذه الظاهرة ، ذكرنا منها آنفاً العامل الحضاري وتطور الذوق الـذي ينمو ويتجدد وفق تطور الزمن ، يضاف إلى ذلك أن هذا الشعر التصويري كما أسماه آدم متز([91]) نما وازدهر في القرن الرابع الهجري ولكننا لا نعدم وجود مظاهر له في الأدب العربي مـنذ القـدم ، إذ إن نظرة إلى الوراء تؤكد أن الإكثار من الصنعة البديعية كانت سمة مألوفة في أغلب الإنتاج الشعري العباسي وكذلك الشعر الأندلسي الذي كان رديفاً له في حقب زمانيه طويلة. ويمكن القول إن هندسة الفن التصويري التي طرأت على صياغة الشعر وجدت لها امتداداً واسعاً عـند شعراء الأندلس وخاصة ابن زمرك (شاعر القصر) الذي حرص على تتبع مواطن الجمال ومـال كغـيره إلـى اسـتخراج الـزخارف الشعرية (الأرابسكية Arabisqe) على حد تعبير اميليوغرسـيه غومـث([92]) ، لقـد حاول شاعرنا في نقوشه الجمع بين السمات الأسلوبية للشعر وجمال الخط والكتابة ، وقد يكون الجمع بين الجمالين نوعاً من الإبداع المتجانس ، حاول الشاعر خلالـه إجـراء علاقة ما تربط بين مجازات الشعر ورونق الفن البارز ، بحيث أصبحت بعض الأذواق تتطلـب فـي اللغة ما يسعون إلى تحقيقه في فن الزخرفة([93]) ، بيد أن الحكم على اللغة الشعرية يظل مرتهنا بالقوالب التي صيغت بها ، ومدى مواءمتها لذوق المتلقي في حينه.

الصورة الشعرية :

يجمـع كثير من النقاد على أهمية الصورة ، ويرون أنها من الوسائل التي تسهم في بناء المواقف الفنية في الشعر ، إذ " يلجأ إليها الشاعر لتجسيد التجربة واللحظة الشعورية التي يعيشها"([94]) .

والشـعر في مفهوم الكثيرين إنما يكسب أهميته ودوره وجماله من الصورة الشعرية ، ولو أمعنا الـنظر فـي أكـثر نماذج الصورة في نقوش ابن زمرك الغرناطي سنجد أنها لا تبعد عن النمط التراثي لمفهوم الصورة من حيث دورانها نحو التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، كما أنها في أكثر أحوالها تنزع إلى الحسية في فهم الجمال وتصويره.

ولا تعني حسية الصورة هنا " الانحسار في إطار حاسة بعينها ، وإن كان ثمة تركيز على حاستي البصـر والسـمع" ([95]) ولكـن المقصد أن تتخذ الصورة من الواقع المادي مجالاً لها تستمد منه مقوماتهـا ، فتقع مباشرة على الدلالة التي تحملها دون تكلف أو تأويل([96]) ، وقد تكتسب الصورة في نقوش ابن زمرك بعداً خاصاً ، ولو من باب التآلف الفني بين الفكرة والشكل .

يقول في إحدى نماذجه النقشية ([97]):

هـــذهِ جـــنةُ النعـــيم تجلـــتْ ... لـيس عـنْها لسـاكنٍ مِـن بـراح
فَنُقُوشـي تَـبدو كزهـر رياضٍـي ... وبياضـي يحكـى محـيا الصـباح
وقسـيي علـى الأبـاريق تَحـنُو ... تَطْلُـب الـورد فـي البرودِ القراح

إنـنا أمـام لوحة تغلب عليها المشاهد الملموسة في واقع البيئة المعاش ،حيث يحاول الشاعر من خـلال علاقـات التشـبيه بين النقوش ومفردات الطبيعة تمثل صوراً تتسم بالإبانة والوضوح ، وتحكى لنا موقفاً جمالياً ينم عن إعجاب وزهو بالقصر وأهله.

ويقدم ابن زمرك صورة تمثيلية خاطفة في قوله([98]) :

وكـأن الشُـموس حـول مـداري ... درر الشـهب حـولَ تـاجِ الهـلال
دمـتِ شمسـاً بـأفق هِدي المجالي ... آمِـناً وقـتها طـروقَ الـزوال

الصورة كما تبدو نمطية ولا تخلو من محاكاة للخيال الشعري الموروث ،ومع ذلك يجملها الشاعر بروافد أو ألوان من التصوير الذي يبرز من خلال التجسيد والحركة واللون وغير ذلك .

وقـد تغلـب الحسـية فـي بعض صور الشاعر لتنقلب إلى صورة حرفية أو فوتغرافية كما في المصطلح الحديث ، يقول ([99]):

فكأنــي خـــود أريـــد زفافُهـــا ... قـــأُعِد قـــبلُ الـــتاج والإكلـــيلُ
وأمامِــي المِــرآةُ وهــي بحــيرةُ ... لمحاســني فــي صــفْحِها تشِــكيلُ

يـتحدث ابن زمرك هنا بلسان القصر الكبير ، فيصطنع صورة قوامها وضع القصر مقابل الخود والمـرآة مقـابل البحيرة التي تتشكل في صفحاتها ما انعكس من البهاء والجمال، إنه يحاول أن يسـتمد علاقـة متوازية ، مفرداتها الواقع الطبيعي ، ثم يضفي عليها ما يكمل انسجامها الفني ، والأمثلة على مثل تلك الصور كثيرة في نقوشه([100]).

وقـد تلاحـظ فـي بعض الصور الحسية عند الشاعر ما تبدو العلاقة بها أكثر إيحاء وعمقاً بين جزيئات الصورة ، ومن ذلك قوله نقشاً على تماثيل الأسود([101]):

وهـل هي من التحقيق غيَر غَمامةٍ ... تُفـيض إلـى الآسادِ منها السوافيا
وقـد أشْـبهتْ كف الخليفة إذ غدتْ ... تفـيض إلـى أسـد الجهادِ الأياديا
ويـا من رأى الآساد وهي روابض ... عداهـا الحـيا عن أن تكون عواديا

فالشـاعر يلجـأ هـنا إلى الحركة التمويهية التي أكسبها لتماثيل الأسود ،حيث جعل حركة المياه الخارجية من أفواها ، تحاكى أيادي الملك التي جمعت إلى جانب القوة معاني الكرم والحضارة ، وهـي صورة لا تخلو من جمال فني ، حاول الشاعر من خلالها إيجاد رابطة دينامية بين الكلمة والمشهد أو بين النقش والتمثال ، لتعبر عن واقع فني يفتح آفاقاً للتأمل والتخييل.

وبعـد ، هـل غلبة الحسية على صور النقوش عند ابن زمرك يعد مطعناً في هذا الشعر ؟ أم أن ذلـك المسار كان يتطلبه الموقف الفني لذلك الشعر؟ إن الإجابة عن السؤال المطروح تقودنا إلى رؤية بعض المستشرقين، الذين وقف بعضهم موقفاً سلبياً من شعر النقوش حين وصفوه بأنه حافل بالحسـية ([102]) ، وأشارت بعض الدراسات إلى أن شعر النقوش اتسم بالجمود والشكلية بما كان يملؤه من صور وألحان وعطور ، ولم يقتنع بأن يظل قابعاً حبيس مخطوطات يعلوه تراب الزمن، وحيـنما لم يعد قادراً على أن يشغل الأذهان أو يؤثر في الأسماع تجسد على الجدران وبدا كأنه زخارف وتوريقات([103]). ويعتقد الباحث أن حسية الصورة في شعر ابن زمرك النقشي نبعت من بواعـث البيـئة ومكوناتها التي أحاطت به فجعلته يتكاف معها ويحاكيها. دونما حاجة إلى مظنة العمق الفكري أو التجريد الفلسفي وخاصة في موضوع هو أقرب إلى الجمال الواقعي.

أمـا القـول بأن صور الشعر المذكورة اكتسبت جمالاً بعد أن استحالت إلى خطوط جرداء على الجدران ففيه نظر ، فجماليات الخط المنقوش أكسبت الشعر بريقاً ورونقاً دون أن تنزعه من بيانه وتأثـيره ودلالاتـه والتي تشي بمرحلة مهمة من حياة الفن العربي ، التي تواءمت فيها الصورة الشعرية مع الكلمات المخطوطة لتحكى لنا مرحلة زاخرة من تاريخ الإبداع الأندلسي.

الحواشي السفلية

([1]) الفن العربي في أسبانيا وصقلية : فون شاك ، ترجمة د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة 1985م ، ص159.

(2) اتجاهات الشعر في مملكة غرناطة : د. أيمن ميدان ، رسالة دكتوراة (مخطوطة) ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة 1996م ، ص194.

(3) يقـول في إحدى قصائده المنقوشة على جدران القصر الذي بناه إسماعيل الأول ليخلد ذكرى انتصار (بيجه) عام 1319 في أمراء قشتالة :

طاق بباب المجلس الأسعد	**لخدمة الحضرة بالمرصد**
ما أحسنه قائماً	**على يمين الملك الأوحد**
كأنما آنية الماء إذ	**تجلى به خود على مصعد**

انظر : الأدب الأندلسي : مارياجيسوس روبيرا متى ، ص160

(4) يقول ابن الخطيب في إحدى تلك القصائد :

رقمت أنامل صانعي ديباجي	**من بعد ما نظمت جواهر تاجي**
وحكيت كرسى العروس وزدته	**إني ضمنت سعادة الأزواج**
فكأنني قوس الغمام إذا بدا	**والشمس مولانا أبو الحجاج**

انظر : الأدب الأندلسي : ماريا‌جيسوس روبيرامتى ، ص160.

(5)الأدب الأندلسـي : ماريا‌جيسوس روبيرامتى ، ترجمة أشرف دعدور ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 1999م ، ص160، 161 ، وانظـر : مع شعراء الأندلس والمتنبي ، إميليوغرسيه غومث دار المعارف ، ط5 ، القاهرة 1992م ، ص298، 219، 220.

(6) يذكـر أن ابـن الخطيب قد فر من غرناطة بسبب مكائد البلاط في عهد الغني با ، والتجأ إلى بني مريـن الذيـن لم يستطيعوا حمايته ، فسلموه إلى سلاطين غرناطة ، وأدخل السجن بعد محاكمة صورية اشـترك فـيها تلميذه ابن زمرك كما تذكر بعض الروايات ، وقتل بعد ذلك على يدي بعض الأوغاد، وقد اخـتلف المؤرخون في تاريخ هذه المأساة، فجاء في نفح الطيب أن وفاته بعد عام 775هـ، في حين رأى غرسـيه غومـث أن وفاته كانت عام 796هـ/ 1393م . انظر : ديوان ابن زمرك (المقدمة) ، ص15 وكذا : ابن زمرك ،حياته وأدبه : صالح البغدادي ، ص43، وانظر نفح الطيب: 170/7،والشعر الأندلسي لغومث: ص72.

(7) الأدب الأندلـس : ماريا‌جيسوس روبيرا متى، ص160 ، وانظر : مع شعراء الأندلس والمتنبي: ص 220.

(8) ديوان الحمراء، الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء:د.صلاح جرار، ص من 5-66.

(9) أشـار الدكتور جرار في كتابه (ديوان الحمراء) أنه قام بتصوير الشواهد المذكورة بنفسه وأثبتها في كتابه المذكور في الصفحات من 5-66، وتحدث فيها عن عناية الأندلسيين بالزخرفة الخطية وعن قصور الحمـراء والـنقوش الشعرية في مبانيها ومعايير اختيار القصائد وموضوعاتها وأسلوبها وقيمة الأشعار بها.

(10)هـو (محمـد بن يوسف بن أحمد بن يوسف الصريحي) ، ويكنى أبا عبد ا ، ويعرف بابن زمرك بضـم الزاي وفتحها ، وهي تسمية غامضة ، وربما تعود لعيب خلقي أو نفسى في والده ، أما عن ولادته فيذكر أنها كانت في شوال لسنة 733هـ -1333م ، وهي السنة نفسها التي بويع فيها لسابع سلاطين بني الأحمـر ، ولا يعرف عن أسرة الشاعر سوى أنها من الأسر النازحة إلى غرناطة من الشرق الأندلسي ، عندما استولى الأنصار الأسبان على تلك البلاد ، فرحلت تلك الأسر لتحافظ على دينها الإسلامي.

وقد عاش الشاعر حياة مثقفة وذلك أثر في نبوغه صغيراً ، فقد تلقى العلم على شيوخ أجلاء منهم (أبو عبد ا التلمساني) و(أبو جعفر الزيات) ، كما نعم بعلاقات حميمية مع الوزير (لسان الدين الخطيب) ، تكدرت فـيما بعد بالمنافسة والشحناء إلى أن انتهت بالعداء والقطيعة وفي جانب أخر من حياته تقرب من سلاطين

البيت الحاكم ، ووصل لديهم إلى مراتب عليا ، منها الوزارة ، واقتربت أحياناً من مرحلة الخلة والزلفى ، أما عن وفاة ابن زمرك ، فيذكر أنها كانت حوالي 797هـ ، بعد أربع وستين عاماً قضى منها نصف قرن في خدمة دولة بني الأحمر في غرناطة .

انظـر فـي ذلك : الإحاطة في أخبار غرناطة : ابن الخطيب ، حققه محمد عبد ا عنان ، ط1، القاهرة 1974، 300/2-315. وديـوان ابن زمرك (المقدمة) ص 19 ، وكتاب / مع شعراء الأندلس والمتنبي : ص170-191، وكتاب ابن زمرك ، حياته وأدبه : صالح البغدادي ، منشورات جامعة سبها 1988م ص 32-42.

(11) ديوان ابن زمرك: تحقيق د. محمد النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت 1997م ، ص13.

(12) لدشـار: يـراد به الدسكرة أو البستان ، وهي لفظة أندلسية وردت في معجم دوزى 443/1 ، انظر ديوان ابن زمرك ، ص130.

(13) الطاقات : جمع طاق ، وهي الفتحة في الحائط أو الشباك ، انظر الديوان ، ص107.

(14) الطـرز : الثوب وغيره جعل له طرازاً ، والمفرد طراز ويقصد به (ما ينسج على الثياب للسلطان ونحوه) انظر : المعجم الوسيط : مادة (طرز).

(15) أزهـار الرياض : المقرى ، ط القاهرة 1930 ، 16/11-17 نقلاً عن ديوان ابن زمرك (المقدمة) ص4.

(16)المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : د. عبد ا الطيب المجدوب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ط4، 1991م ، 194/2.

(17) قصـور الحمـراء، ديـوان العماره والنقوش العربية: د.محمد عبد المنعم الجمل، عن طريق شبكة الأنترنت(www.googel.com,كلمة البحث(ديوان الحمراء).

(18) السابق : الأنترنت(www.googel.com,كلمة البحث(ديوان الحمراء).

(19) الفن والشعر في عصر مكتبة الإسكندرية ، جون مارلولندن ، مجلة فصول عدد60، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2002م ، ص26.

(20)الفن العربي في أسبانا وصقلية : فون شاك ، ص146.

(21) جماليات الفن العربي: د.عفيف بهنسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979م ، ص32.

(22)مع شعراء الأندلس والمتنبي : إميليوغرسية غومث، ص220.

(23) قصـيدة المديـح حـتى نهاية العصر الأموي : د. وهب رومية ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1981م، ص21.

(24) العمـدة فـي محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل، ط5، بيروت 1981م ، 226/2.

(25) ابن زمرك الأندلسي ، حياته وأدبه : صالح عبد السلام البغدادي ، ص79

(26) مـع شـعراء الأندلسي والمتنبي : إميليوغرسيه غومث ، تعريب د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، القاهرة سنة 1992م ، ص209.

(27) الأدب الأندلسـي : مارياجيسـوس روبيرامتى ، ترجمة أشرف دعدور ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1999م ، ص161.

(28) مع شعراء الأندلس والمتنبي : إميلوغرسية غومث ، ص218.

(29) الـبرطل : فـي الأندلس والمغرب البيت المكشوف الجدران ، ويقال (البرطال) ، انظر ديوان ابن زمرك: ص152.

(30) الديوان ، ص: 153، وديوان الحمراء :ص 78-88 .

(31)السابق : ص153.

(32) ابن زمرك الأندلسي ، حياته وأدبه : ص87.

(33) الفـن العربي في أسبانيا وصقلية : فون شاك ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ط1 ، القاهرة 1991 ، ص100-101.

(34) الديوان : ص129

(38) الوزن لا يستقيم في العجز علماً بأن البيت من البحر البسيط.

(36) الديوان : ص154-155.

(37) وصـف الأزهـار فـي الشـعر الأندلسي : سعد العزايزة (رسالة ماجستير) ، جامعة عين شمس والأقصى 1998، ص133.

(38) الديوان : ص127-128.

(39) الديوان : ص308 .

(40) الأدب الأندلسي : ماريا جيسوس روبييرا متى ، ص158.

(41) التفضـيل الجمالـي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني : د. شاكر عبد الحميد ، مطابع الوطن ، الكويت 2001م ، ص400.

(42) انظر الديوان : ص153-155-157-158 وغيرها.

(43) الفن العربي في أسبانيا وصقلية : ص180.

(44)السابق : ص180

(45) الديوان : ص129-130، وديوان الحمراء : ص118-128 .

(46) الديوان : ص158

(47) السابق : ص131 .

(48) السابق : ص156

(49) السابق : 157 .

(50) ثـلاث دراسـات عن الشعر الأندلسي : إميليوغرسية غومث وآخرون ، ترجمة د. محمود مكي ، القاهرة 1999م ، ص83.

(51) شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكة ، ترجمة فاروق بيضون ، ط3 ، بيروت 1979م ، ص476.

(52) شعر الطبيعة بين المشرق العربي والأندلس : د. سعد العزايزة (رسالة دكتوراة) جامعة عين شمس 2001، ص415.

(53) لم يكن النقش خالصاً بالحجارة بل أيضاً بخشب الأبواب والطيقان والسقوف .

(54) الديوان : ص306 .

(55) الكـلام علـى لسان القصر ونقوشه ، وهي طريقة غالباً ما يعمد إليها ابن زمرك في أشعار النقوش فيبعـث فـي أعمدة القصر وطيقانه وأبوابه وقبابه الحياة ، فإذا بها تنشد مآثر سلاطين بن الأحمر .انظر الديوان : ص306.

(56) د التطبيقي والموازنات : د. محمد الصادق عفيفي ، الجزائر 1978م ، ص282.

(57) إذاعي للدكتور الطاهر مكي في صوت العرب في 2002/3/12.

(58) دب الأندلسـي : مارجيسوس روبيرامتى ، ص157 ، وانظر : ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي: إميليوغرسيه غومث وآخرون ، ص82-83.

(59) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي : إميليوغرسية غومث وآخرون ، ص804.

(60)شـعر الطبيعة في الأدب المصري ، القرن الرابع الهجري : عوض الغبارى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1989، ص309.

(61) قصـور الحمـراء، ديوان العمارة والنقوش العربية د.محمد الجمل (www.googel,com,كلمة البحث (ديوان الحمراء).

(62) اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : نبيل أبو حلتم ، دار الثقافة ، قطرة – الدوحة ، 1985م ، ص358.

(63) الـنقد الأدبي الحديث – أصوله واتجاهاته : د. أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1972م ، ص40.

(64) جماليات الفن العربي: د. عفيف بهنسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979م، ص110.

(65) الديوان : ص125 ، وانظر : لوحات شعرية مناظرة في الصفحات 153، 154، 157، 158.

(66) من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي: د. محمد عويس، الأنجلو المصرية، ط1 ، القاهرة 1986م، ص122.

(67) الكـوى : الخـرق فـي الجدار يدخل منه الهواء والضوء ، فهو مثل النافذة ، المفردة الكوة ، انظر المعجم الوسيط مادة كوى.

(68) الديوان ، ص126.

(69) السابق : ص154-155.

(70) السابق : 156، وديوان الحمراء : ص 92-94 .

(71) يشير في البيت الأخير إلى انتساب ملوك بني الأحمر إلى سعد بن عبادة الصحابي المعروف.

(72) الديوان : ص307

(73) انظر الديوان : ص307.

(74) السابق : ص127.

(75) سورة النمل : آية 44.

(76) الديوان ص : 128.

(77) السابق : ص306-307.

(78) فـي نقـد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية : د.رمضان الصباغ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية 1998م ، ص411.

(79) الديوان : ص155، وديوان الحمراء : ص97-98 .

(80) اتجاهات الشعر الأندلسي في القرن الثالث الهجري : د. نافع محمود ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990م ، ص234.

(81) فـي الشعر العباسي ، الرؤية والفن : د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ط2 ، القهرة 1980، ص416.

(82) الديوان : ص155، وديوان الحمراء : ص89-91.

(83) السابق : ص127 ، وديوان الحمراء : ص 145-147.

(84) الديوان : ص110، 125، 127 ، 128، 157.

(85) الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته : د. الطاهر مكي ، دار المعارف ط1 ، القاهرة 1960، ص19.

(86) ظهر الإسلام : أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ط7 ، القاهرة 1953م ، 133/1.

(87) الديوان : ص127-128.

(88) الديوان : ص158.

(89) شعر الطبيعة بين المشرق العربي والأندلس (رسالة دكتوراة) : د. سعد العزايزة ، ص413.

(90) انظر الديوان : ص156 ، 157، 306، 307.

(91) الحضـارة الإسـلامية : آدم مـتز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1967م، 362/1.

(92) دراسـات أندسية في الأدب والتاريخ والفلسفة : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ط1 ، القاهرة 1980، ص198.

(93) نظرية المعنى في النقد الأدبي : د. مصطفى ناصف ، دار القلم ، القاهرة 1965م ، ص25-27.

(94) الشـعر الأندلسـي فـي عصر الموحدين: د. فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1991، ص225.

(95) مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي : د. جابر عصفور ، مؤسسة فرح للصحافة والثقافة ط4 ، 1990، ص161.

(96) التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة والثقافة ، بيروت 1992، ص92.

(97) الديوان : ص157.

(98) الديوان : ص309.

(99) الديوان : ص307.

(100) انظر الديوان : ص126 ، 128 ، 129.

(101) الديوان : ص130 .

(102) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي : ص84 ، وكذا الأدب الأندلسي : لماريياجيسوس ، ص157.

(103) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي : ص84 وانظر : مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ص228.

مصادر البحث ومراجعة

1- اتجاهـات الشـعر الأندلسـي في القرن الثالث الهجري : د. نافع محمود ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد 1990م .

2- اتجاهـات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : نبيل أبو حلتم ، دار الثقافة، قطر ، الدوحة 1985م .

3- اتجاهـات الشـعر فـي مملكة غرناطة : د. أيمن ميدان ، رسالة دكتوراة (مخطوطة) كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة 1996م .

4- الإحاطـة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب ، حققه محمد عبد ا عنان ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1974م .

5- الأدب الأندلسـي : مارياجيسوس روبيرامتى ، ترجمة أشرف دعدور، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1999م .

6- التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، ودار الثقافة ، بيروت 1992م .

7- التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني : د. شاكر عبد الحميد ، مطابع الوطن ، الكويت 2001م .
8- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي : إميليوغرسية غومث وآخرون ، ترجمة د. محمود مكي ، القاهرة 1999م .
9- جمالـيات الفـن العربي: د. عفيف بهنسي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1979م .
10- الحضارة الإسلامية : آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1967م .
11- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة: د. الطاهر مكي، دار المعارف ط1، القاهرة 1980م
12- ديـوان الحمـراء، الأشـعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وقصر العريف بغرناطة :د.صلاح جرار، المؤسسه العربية للدراسات، بيروت 1999م.
13- ديـوان ابـن زمرك الأندلسي : تحقيق د. محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت 1997م.
14- ابن زمرك الأندلسي، حياته وأدبه: صالح عبد السلام البغدادي ، منشورات جامعة سبها 1988م .
15- الشـعر الأندلسـي، بحـث فـي تطوره وخصائصه: غرسيه غومث، تعريب د.حسين مؤنس،دار النهضة المصرية، القاهرة1952م.
16- شـعر الطبـيعة بيـن المشـرق العربي والأندلس في القرنين الرابع والخامس للهجرة : د. سعد العزايزة، رسالة دكتوراة (مخطوطة) جامعة عين شمس والأقصى ، القاهرة 2001م .
17- شعر الطبيعة في الأدب المصري (القرن الرابع الهجري) : عوض على الغباري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، القاهرة 1989م .
18- الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته : د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، ط1 القاهرة 1980م .
19- الشعر في عصر الموحدين:د.فوزي عيسى،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ، 1991م.
20- شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا: زيغريدهونكة ، ترجمة فاررق بيضون،المكتب التجاري ، ط3 ، بيروت 1979م .
21- العمـدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ط5 ، بيروت 1981م .
22- الفـن والشـعر فـي عصـر مكتبة الإسكندرية : جونمارلو لندن ، مجلة فصول عدد60 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2002م .

23- الفـن العربـي فـي أسبانيا وصقلية : فون شاك ، ترجمة د. الطاهر مكي ، دار المعارف ط2 ، القاهرة 1985م .

24- في الشعر العباسي ، الرؤية والفن : د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ط2 ، القاهرة 1980م.

25- قصـور الحمـراء، ديوان العماره والنقوش العربية:د.محمد عبد النعم الجمل، مكتبة الأسكندرية، شبكة الأنترنت (www.googel.com) .

26- قصـيدة المديـح حتى نهاية العصر الأموي : د. وهب رومية، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1989م .

27- المرشـد إلـى فهم أشعار العرب وصناعتها : د. عبد ا الطيب المجدوب، دار جامعة الخرطوم للنشر ط4 ، 1991م .

28- المعجم الوسيط : د.إبراهيم أنيس وآخرون ، مجمع اللغة العربية ط2، القاهرة 1972م .

29- مع شعراء الأندلس والمتنبي : إميليوغرسيةغومث، تعريب د. الطاهر مكي ، دار المعارف ط5 ، القاهرة 1992م .

30- مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي : د. جابر عصفور ، مؤسسة فرح للصحافة والثقافة ط4، 1990م .

31- قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي : د. محمد عويس ،الأنجلوالمصرية ط1 ، القاهرة 1986م .

32- نظرية المعنى في النقد الأدبي: د. مصطفى ناصف، دار القلم القاهرة 1965م .

33- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري التلمساني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت 1968م.

34- الـنقد الأدبـي الحديـث ، أصوله واتجاهاته : د. أحمد كمال زكي ، ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972م .

35- النقد الأدبـي الحديث حول شعر أبي العلاء المعرى: د. حماد أبو شاويش، دار إحياء علوم الدين ط1، بيروت 1989م .

36- النقد التطبيقي والموازنات: د. محمد الصادق عفيفي ، الجزائر 1978م.

37- فـي نقد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية : د. رمضان الصباغ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية 1998م .

38- وصف الأزهار في الشعر الأندلسي : سعد العزايزة ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ، جامعة عين شمس ، القاهرة 1998م .